مقدمة المترجم

كُتب الكثير عن الإسلام والمسلمين، سواء من المسلمين أنفسهم أو من مستشرقين وباحثين في الشؤون الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها. وازدادت هذه الكتابات في السنوات الأخيرة، لأسباب معروفة، لسنا الآن بصدد الحديث عنها.

وهذا الكتاب عبارة عن تعريف بالإسلام، نشأته وتاريخه، فقهه وأحكامه. ونحن كعرب ومسلمين لسنا بحاجة لمن يقدم لنا ديننا أو يقنعنا بصوابه. فنحن الذين قدمناه للعالم، وأهل مكة أدرى بشعابها. ولا نحتاج أن يقول لنا أحد أن المسلمين يصلون خمس مرات في اليوم، أو أنهم يصومون شهر رمضان، وغير ذلك من بدهيات بالنسبة لنا. فهل رُدّت بضاعتنا إلينا؟.

حقيقة الأمر غير ذلك. فالمؤلف الدكتور مراد هوفمان هو ألماني الجنسية، قضى 33 عاماً من حياته في السلك الدبلوماسي، منها سفيراً لبلاده في الجزائر والمغرب. اعتنق الإسلام منذ 25 عاماً، وبدأ يكتب عن الإسلام والمسلمين.

كتابه هذا موجّه إلى الغرب وليس إلى العرب أو المسلمين، لأن الغالبية العظمى في الغرب تفتقر إلى أدنى معرفة بالإسلام وتجهل كل شيء عنه تقريباً، إذ لا يصلها إلا ما يرشح من تقارير وآراء مجحفة بحقه تُعرض ـ غالباً ـ بنوايا خبيثة.

وبما أن خطابه موجه إلى الغرب فقد جاء بصيغة تنسجم مع هذا التوجه من خلال أسلوبه ولغته المباشرة، البعيدة عن أسلوب الخطابة والإنشاء. فهو يريد أن يوصل المعلومة لمتلقٍّ يهتم بالحقائق كما هي دون تزويق أو تنميق.

ونحن نقدم هذه الترجمة إلى قراء العربية ليس لزيادة معرفتهم بالإسلام، بل للاطلاع على طريقة للتعريف بالإسلام قام بها شخص اجتمعت فيه ثلاث خصال: فهو باحث وغربي ومسلم بآنٍ، أي أنه يعرف من يخاطب وكيف يخاطب.

استخدم عبارات مجردة مثل: الله ـ القرآن ـ الآية ـ محمد ـ مكة ـ المدينة. ونحن أضفنا إليها في الترجمة ما ينسجم مع تراثنا وعقيدتنا فقلنا: الله تعالى ـ محمد(أو النبي) عليه السلام أو ﷺ ـ القرآن الكريم ـ الآية الكريمة ـ مكة المكرمة ـ المدينة المنورة. وعندما يأتي على شواهد من القرآن الكريم كان يكتفي بمجرد ذكر رقم السورة والآية. لكننا في الترجمة لم نكتفِ بذلك، بل عدنا إلى كتاب الله ونقلنا الشاهد بحرفيته مشيرين إلى اسم السورة ورقم الآية الكريمة لنوفر على القارئ التحقق إن أراد ذلك.

نرجو أن نكون قد قدمنا إسهاماً متواضعاً في تعريف القارئ العربي والمسلم بالطريقة التي يقدم فيها المؤلفُ الإسلام لقارئ غير مسلم.

دمشق: كانون الأول (ديسمبر) 2005

كامل إسماعيل

المؤلف في سطور

وُلد مراد فيلفريد هوفمان Murad Wilfried Hofmann عام 1931. حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون. عمل لمدة 33 عاماً في السلك الدبلوماسي، كان آخرها سفيراً لألمانيا في الجزائر والمغرب. اعتنق الإسلام عام 1980، ونشر منذ ذلك الوقت العديد من المقالات والكتب تتناول موضوعات ثقافية ودينية. صدر له عن دار نشر Eugen Diederich Verlag عام 1992 كتابه الذي لفت الانتباه تحت عنوان «الإسلام كبديل» الذي لاقى أيضاً صدى كبيراً في العالم الإسلامي. ثم صدر له عام 1996 كتاب بعنوان «رحلة إلى مكة» وفي عام 2000 صدر له كتاب «الإسلام في الألف الثالثة».

يعيش الدكتور هوفمان اليوم في استانبول وأشفنبورغ، ويقوم - كمحاضر مرموق - برحلات عديدة إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأميركية ودول إسلامية.

تمهيد

هناك سبب بدهي، وفي الوقت نفسه مقنع، يدعو للبحث في قضية الإسلام. فالإسلام الآن في خضم الأحداث، حسب وصف أورسولا شبولر ـ شتيغيمان Ursula Spuler_ Stegemann.

يعتنق الدين الإسلامي الآن 1.2 مليار إنسان وعددهم في ازدياد. ولا يعيش هؤلاء في العالم الإسلامي فقط، أي في خمس وخمسين دولة عضوٍ في منظمة المؤتمر الإسلامي، بل أيضاً في الغرب، وفي كل مكان.

ففي ألمانيا يعيش قرابة ثلاثة ملايين مسلم، منهم 2.1 مليون تركي، إضافة إلى العديد من المصريين والألبان والجزائريين والبوسنيين والمغاربة والفلسطينيين والسوريين والتونسيين. وهناك أيضاً حوالي 80 ألف ألماني يعتنقون الإسلام. والأهم من ذلك هو الحضور الإسلامي في فرنسا. فمن أصل مواطنيها المسلمين الذين يصل عددهم إلى ستة ملايين، هناك ثلاثة ملايين تعود أصولهم إلى دول المغرب العربي، ومليونان من إفريقية السوداء و400 ألف من تركيا، بالإضافة إلى حوالي 100 ألف مواطن فرنسي اعتنقوا الإسلام.

أما مسلمو بريطانيا العظمى الذين يبلغ عددهم مليوني نسمة، فمعظمهم من المسلمين الهنود ـ الباكستانيين. هؤلاء لهم ممثلوهم في مجلس العموم واللوردات، منهم اللورد أحمد بن روترهام من أصل كشميري، واللورد محمد منير شاهين من سترانتون وهو من أصل مصري.

وإذا ما اعتمدنا على التقديرات فسوف يصل عدد المسلمين في أوروبا الوسطى والغربية عام 2020 إلى ما لا يقل عن 40 مليون مسلم.

يشكل المسلمون حالياً أكبر أقلية دينية عرفتها أوروبا حتى الآن. وبشكل خاص يتطور الإسلام تطوراً ديناميكياً في أميركا الشمالية حيث تضاعف عدد الجوامع فيها منذ عام 1990 ليصل إلى 1250جامعاً.

ويزيد عدد المسلمين فيها حالياً عن عدد اليهود أو المسيحيين الأسقفيين، مع نسبة عالية في عدد الأكاديميين.

فكل واحد من أصل خمسة أطباء في الولايات المتحدة مسلم. ومن أصل حوالي ثمانية ملايين مسلم أميركي يشكل الأميركيون من أصل إفريقي 37.5% منهم، ثم 25% من أصل عربي ومثلهم من أصل هندي ـ باكستاني.

بلغ عدد المسلمين الأميركيين عام 1999 4.9 ملايين كانوا يشكلون 2% من مجموع سكان الولايات المتحدة. وتشير التوقعات إلى أن عددهم سيزداد بحلول عام 2010 إلى عشرة ملايين. وهذا يعني أكثر من 3% من المجموع المتوقع لعدد السكان.

ويفخر المسلمون الأميركيون أن واحداً منهم ولأول مرة، قد حصل عام 1998 على جائزة نوبل للطب وهو الدكتور فريد مراد، وأن اختصاصيين مسلمين في مجال الكمبيوتر ساهموا مساهمة كبيرة في تطوير عمليات برمجية: INTEL Pentuim III - prozessors وهم

يعتقدون أن الولايات المتحدة أصبحت الآن «جاهزة للإسلام» وعليها في خضم أزمتها الأخلاقية أن تسترشد «بالقيم الإسلامية» التي هي قيم الثورة الأميركية حسب قول بيتي بومان Betty Bowman.

كما صدر عام 1999 كتاب في واشنطن تحت عنوان «الشمس تشرق على الغرب» والمقصود بذلك هو الإسلام.

إذن هناك سبب كافٍ لإلقاء نظرة على عالم معتقدات وسلوك مواطنينا من المسلمين؛ لأن فهمهم أصبح الآن أكثر ضرورة من أي وقت مضى.

علينا في نهاية المطاف أن نعيش «مع بعضنا وليس ضد بعضنا» كما قال الرئيس الألماني الاتحادي السابق يوهانس راو Johannes Rau، وأن لا نقيم حدوداً بيننا، بل أن يغني أحدنا الآخر.

لكل ديانة من الديانات الكبرى:

1 ـ منطلقات عقائدية لفهم الكون.

2 ـ طقوس عبادات للتواصل مع الحقيقة الأولى.

3 ـ أخلاق تقوم على أسس دينية.

4 ـ مؤسسات ورموز دينية.

ولا يختلف الأمر في الإسلام، فهو أيضاً ومنذ 1400 سنة دليل موثوق وشامل لانسجام صحيح مع العالم وتحقيق حياة كريمة فيه.

إلا أن المرء يمكن أن يتساءل فيما إذا كان الخوض في موضوع الإسلام ممكناً بشكل عام.

ألا يمكن أن يكون الإسلام أي شيء آخر عدا كونه بنياناً واحداً؟ ألم يكن الإسلام على الدوام يعني شيئاً مختلفاً، لأناس مختلفين، في أوقات مختلفة؟

هل هناك أشكال للإسلام بعدد المسلمين؟ وإلى أي إسلام يمكن أن نشير هنا؟ إلى إسلام السنة أم إلى إسلام الشيعة الإيرانيين أو الصوفيين أو الوهابيين السعوديين؟

بالتأكيد كان الإسلام متنوعاً في جميع مراحل تاريخه. فهو لم يوحّد المسلمين دائماً، لكنّه غالباً ما فرّقهم، بالرغم من عدم نشوب حروب دينية فيما بينهم على غرار ما حدث في أوروبا (كما تقول غودرون كريمر Gudrun Kraemer).

وعلى أية حال فإن هذا الدين الذي قام على أسس ديمقراطية يتمسك دائماً بتشبث عجيب بمبدئه القائم على وحدانية الله وبكتابه (القرآن الكريم) ونبيّه (الرسول الكريم)، وبرهن بذلك على قدرة تكاملية غير عادية. وهذا ما منح الإسلام القدرة على تجاوز سنوات طويلة من الملاحقة، وعلى تجديد نفسه بنفسه دائماً وأبداً. وبذلك لم تكن هناك أبداً أزمة انتماء في الإسلام. وحتى في عصرنا هذا يبدي لنا هذه المعالم القديمة الواضحة.

هذه المعالجة متماثلة - على الرغم من غناها - بالحقائق، ويمكنها أن تفتح الباب ـ ولو قليلاً ـ على الإسلام.

وللتعرف الأشمل على الإسلام يجد القارئ مراجع أكثر تفصيلاً تعالج موضوعات محددة مهمة ضمن القائمة الموجودة في نهاية هذا الكتاب.

إن معالجة كهذه لا تدعي اتباع أساليب البحث العلمي، لكنها يجب أن تكون موثوقة دون خضوعها للتحليل، ويمكن للقارئ أن يركن إلى حقيقة أن عرض الإسلام بهذا الأسلوب يتوافق مع العقيدة التي تلتزم بها الأكثرية الساحقة من المسلمين في كل أنحاء العالم.